ISSN (Paper) 1994-697X

Online 2706 -722X

DOI 10.54633/2333-022-046-002

Received.12-Feb,2023
Published.30-June-2023

الاتجاه الصوفي في شعر اديب كمال الدين

منتهى رحيمه عيسى

وزارة التربية – مديرية تربية بغداد الرصافة الثانية

المستخلص :

يعد الشعر الصوفي من الفنون التي ظهرت في العصر الاسلامي وقد تطور واستفاد من التراث العربي، وان لغة الشعر الصوفي تتميز بجماليتها وتنوع اساليبها، فهي تحتوي على دلالات تعارف عليها المتصوفة، وهو يمتاز بتعدد اغراضه، ولعل اهم موضوع كتبوا به المتصوِّفة اشعارهم الصوفية هي محبّةِ الله، والزهد في هذه الدنيا، وبعد اطلاع الباحثة على المجموعات الشعرية للشعراء العرب في العصر الحديث وجدت ان الشاعر اديب كمال الدين اتخذ في بعض شعره الاتجاه الصوفي منهج له، فلديه قصائد نهج بها نهجاً صوفياً واضحاً، امتازت هذه القصائد بجمالية موضوعها ورقة اسلوبها، تناول الشاعر فيه المحبة الخالصة لله تعالى. وعلى هذا اتسم عنوان البحث ب ((الاتجاه الصوفي في شعر اديب كمال الدين)).

الكلمات المفتاحية: اديب كمال الدين ، الاتجاه الصوفي ، الشعر الصوفي ، الصوفيين ، التصوف.

The Sufi trend in Adeeb Kamal El-Din's poetry

Muntaha Rahima Issa
Ministry of Education - Directorate of Education, Baghdad, Rusafa 2
E-mail: Muntaha.rhem@gmail.com
https://orcid.org/0000-0003-1226-7215

Abstract:

Sufi poetry is one of the arts that emerged in the Islamic era and has developed and benefited from the Arab heritage, and that the language of Sufi poetry is characterized by its beauty and diversity of methods. And asceticism in this world, and after the researcher was briefed on the poetic collections of Arab poets in the modern era, she found that the poet Adeeb Kamal al-Din took in some of his poetry the Sufi approach as his method. It is the pure love of God Almighty. Accordingly, the title of the research was characterized as ((The Sufi Attitude in the Poetry of Adeeb Kamal Al-Din)).

Keywords : Adeeb Kamal El-Din, Sufi direction, Sufi poetry, Sufis, Sufism.

المقدمة :

التصوف:- هو كلمة تدل على معان عدة كالدلالة على الصفاء والصفو؛ لأن همَّ المتصوّف هو تزكية النفس وتطهيرها وتصفيتها، والدلالة الأميل إلى المنطق والصواب هي اشتقاقها من الصوف الذي يشكِّل علامة تميز العارف وتفرُّد الزاهد عن باقي الناس داخل المجتمع العربي الإسلامي. ويقصد بالتصوف في الاصطلاح هو تلك التجربة الروحانية الوجدانية التي يعيشها السالك المسافر إلى ملكوت الحضرة الإلهية والذات الربانية من أجل اللقاء بها وصالًا وعشقًا. ولعلَّ أهم موضوع عبَّر عنه الشعر الصوفي هو الحبُّ الإلهيّ. وكمثال على الشعر الصوفي قول الحلاج:

أَحْرُفٌ أَرْبَعٌ بِهَا هَامَ قَلْبِي

وَتَلاَشَتْ بِهَا هُمُومِي وَفِكْرِي

أَلِفٌ أَلَّفَ الْخِلاَئِقَ بِالصُّنْعِ الجَمِيلِ

فَلاَمٌ عَلَى السَّلامَةِ تَجْرِي

ثُمَّ لاَمٌ زِيَادَةً فِي الْمَعَالِي

ثُمَّ هَاءٌ بِهَا أَهِيمُ وَأَدْرِي

وإذا كان الحُبُّ الإلهيّ في الشعر الصوفي هو الموضوع الأول والأهم، فهناك أيضًا مواضيع اخرى كالزُهد، والحِكَم، والدُعاء، والتسبيح، والاستغاثات، والأخلاق، وتزكية النفس، والمناجاة، والغزل الصوفي، والنصائح والوصايا، والمدائح النبوية. ويعد الشعر الصوفي واحدًا من فنون الأدب التي ظهرت في العصور الإسلامية، وتطوَّر تطوُّرًا عميقًا؛ فقد استفاد من التراث الشِعري الذي سبقه، وحاكى أغراضه المختلفة، مُضيفًا إليها مميزاته ونكهته الخاصّة، إذ شكَّل الاتجاه الصوفي أحد أقوى الاتجاهات الشِعرية في القرن السابع الهجريّ ، وكمال الدين الاديب في هذه القصيدة التي يوضح من خلالها المحبة الاولى هي للخالق فقط ، فالشاعر هنا كان يمدح ويتمجد بأحرف لفظ الجلالة (الله) سبحانه وتعالى وهذا يدل على مدى العشق للخالق من قبل الشاعر.

أولاً : مفهوم التصوف وعلاقته بالشعر

التصوف هو ((طَرِيقَة سلوكية قوامها التقشف والتحلي بالفضائل لتزكو النَّفس وتسمو الرّوح))(١) ودليل الكلمة هذا عرف بأغلب معاجم اللغة العربية، اما بالنسبة الى علم التصوف فهو كما يعرفه مؤلفي المعجم الوسيط ((مَجْمُوعَة المبادئ الَّتِي يعتقدها المتصوفة والآداب الَّتِي يتأدبون بهَا فِي مجتمعاتهم وخلواتهم))(٢) ويقال: ان من اهم معاني التي طغت على التصوف هي الجد والواقعية فهو مذهب كله جد، لا يخلط بشيء من الهزل(٣)، اما بالنسبة لمادة التصوف التي

ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

تناولها المتصوفة فهي سَوَاء أَكَانَت أَخْلَاقًا أَو معرفه أَو سلوكا أَو تعبيرا أو شعراً أو مناجاة فَهِيَ مَادَّة موصله بِاللَّه قَائِمَة بِهِ وَله، فانية فِيهِ سُبْحَانَهُ وَلِهَذَا آمن الصوفية بِأَنَّهُم أحباب الله وأصفياؤه وأولياؤه وصفوه عبَادَة وحراس ينابيعه فهم يعدون الله هو الحبيب الْقَرِيب الْمُجيب الْآخِذ بنواصيهم إِلَى وَجهه الْكَرِيم، هذا منهج المتصوفة عامة وقد اخذ شعرائهم هذا النهج في شعرهم فتجلى هذا في قصائدهم بوضوح(٤). فقد وصفوا شعراء المتصوفة في قصائدهم المحبة لله والتغني بهذا الحب والعبادة لرب العالمين.

وان علاقة الشعر بالتصوف علاقة قديمة جداً فشعراء المتصوفة بينوا في شعرهم المبادئ التي يعتقدونها والآداب التي يتأدّبون بها في مجتمعاتهم التي يناجون بها خالقهم وملهمهم في خلواتهم(٥)، ولعل قول الإمام أبي حامد الغزالي عن التصوف في حد ذاته هو أمر باطن لا يُطلع عليه، ولا يمكن ضبط الحكم بحقيقته، يمكننا من هذه المقولة أن نستوعب وعورة الحد واستشكاله، فكيف يكون الأمر عند انتقاله إلى فضاء آخر اكبر من إذ الكثافة والخصوصية مثل فضاء الشعر، بإذ إنه يُضاف إلى التضايف المتوتر بينهما أصلًا تعقيدٌ من طبيعة خاصة، وقد أخذ الخطاب الصوفي يشغل حيزًا في شعرنا اليوم ويمثل رافدًا رئيسًا من إمكانات قوله، يغتني بثراء البعد الروحي الذي فيه وبالاستعمال الخاص للغة للتعبير عنه بكثافة، ولا يقتصر الاهتمام بالخطاب الصوفي على الشعر العربي فقط، بل أخذ الاهتمام يزداد بالبعد الصوفي في الشعر المغربي ويزداد نظرًا وممارسة، فهناك تجارب لشعراء مؤثرين جعلوا من التصوف أحد المصادر الشعرية الأساسية في شعرهم بلا ادعاء، لأنهم عاشوه بصدق ومعاناة أو مالوا إليه عن شوق واقتناع داخلي(٦). وهناك مسألة لابد من ذكرها تتعلق بعلاقة الصوفية و الشعر العربي، مفادها إذا كان الصوفي يرى في الكتابة الشعرية الوسيلة الأولى للإفصاح عن أسراره، والمكون الأدبي الذي من شأنه أن يفتح بابا للدخول إلى عالم مشحون بالرؤى المناسبة لتوهجه ووجدانه و المفعمة بالدلالات، فإنه قد أصابه الضيق جراء قواعد الشعر بوصفها قيودا، فقام بتكسير جدران التفعيلات في بعض أشعاره، متمردا على الأشكال التقليدية الموروثة، مضيفا إلى أشكاله الوزنية، أشكالا أخرى نثرية تتضمن مكونات ما اصطلح على تسميته، في النقد الشعري الحديث ب"قصيدة النثر"(٧). وهذا دل على شيء فيدل على الحب الفطري الذي كان عند الشعراء المتصوفة ، فقد تجاوزا على الشكل المعتاد عليه الشعر العربي في سبيل ايصال المعنى المراد في حب الخالق.

وقد وضح الباحث عادل عبدالله في بحثه الشعر والتصوف ان علاقة الشعر بالتصوف لا تتحدد بأسلوب واحد، ولا تلتزم في ظهورها بشكل ابداعي واحد تعبّر به هذه العلاقة عن نفسها، فاذ يمكن لهذه العلاقة أن تبدو لنا مرة في تارة قصيدة عمد صاحبها الى الالتزام بقواعد الشعر وأدواته الشكلية للتعبير عن مضامين ذاته الصوفية وحدوسه العرفانية، ويمكن لنا مرة اخرى أن تبدو لنا في تارة نص حرّ يعتمد الشعرية مبدءاً ووسيلة له، لاحتواء مضامين ذاته ومعانيها الصوفية العرفانية، أي دونما التزام منه بأي من القواعد الشكلية التي تجعل من النص ذي الطبيعة التخييلية الحسية، ولعلنا نجد في تلك القصائد التي وضعها محيي الدين بن عربي كمقدمات لفصول كتابه الشهير "الفتوحات المكية" خير تمثيل للنوع الأول من هذه العلاقة، أما النوع الثاني منها فيمكن الاشارة اليه، عربيا الى العديد من نصوص "نهج البلاغة" للإمام علي(ع)، أما عالمياً، وعند حدود استخدام الفكر للشعرية وسيلة لانتاج النص فيمكن الاشارة الى كتاب نيتشه "هكذا تكلم زرادشت" بوصفه ممثلاً دالاً عليها بامتياز كبير وقد توصل الباحث بعد التعرض لهذه الجدلية في العلاقة، بأن القيمة

ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

الابداعية لهذا النوع من النصوص، التي يشتبك فيها الشعر بالفكر والتصوف تحددها سلفاً جهة صدورها، اي ان صاحب النص هل هو شاعر "بالأصل" أراد افراغ معانيه الصوفية التي فرضتها عليه تجربة ما في قالب شعري؟ أم انه صوفي مفكر "بالأصل" وجد أن الطريقة الأكثر ملائمة و صلاحية للتعبير عن أفكاره وحدوسه الوجدانية تتم له عبر استخدام مبدأ الشعرية الحسي التخييلي وسيلة لبلوغ أفكاره المتعالية وانتاج نصه الابداعي؟ وبعد هذا توصل الى ان التصوف لا يصلح أن يكون موضوعاً للقصيدة التي يراد لها أن تنقل تجربة الصوفي بكل غرابتها وجلالها، مالم يعش الشاعر وعلى مدى طويل تفاصيل وأسرار وآثار تجربة التصوف في حقيقتها العرفانية العميقة الخافية (٨). ومن هذا نتوصل الى ان الشعراء الصوفية سجلوا من الشعر قالب لخدمتهم في ايصالهم الى تعبير ما يجول في خاطرهم من معان وتعابير في وصف الخالق وذكر صفاته.

ولعل من اهم السمات التي ميزت شعر التصوف عن غيره هي الأغراض الشعرية التي يكتب لا جلها فقد اتسمت هذه الاغراض بسمات من اهمها. الرمز: وهو الأساس الذي يقوم عليه الأدب الصوفي، وقد عاب النقد على شعراء المتصوفة الإغراق بالرمزية، ممّا دفع قصائدهم إلى الإغراق بالإيهام والغموض والتعقيد(٩). والعاطفة الصادقة: فالشعر الصوفي لا مجال فيه إلى التصنع والتكلف والمبالغة، كما هو الحال في شعر المديح والرثاء والفخر وغيرها، بل هو شعرٌ ينمُّ عن عاطفة صادقة تُعبّر عما يخالج النفس من مشاعر وأحاسيس، وقد قلَّ بين الشعراء من يهتم بالجانب الروحي في شعره. والتجربة العميقة فالتصوف لا يأتي جزافًا بل يأتي بعد التنقل بين المراتب والدرجات، ليصل المتصوف إلى مرتبة يستطيع فيها التعبير عن لذة الحال التي وصل إليها، والوحدة العضوية فالقصيدة عند شعراء المتصوفة كلٌّ لا يتجزأ، ولا تختلط المواضيع والأغراض فيها بعضها ببعض، ولا تتداخل فيها الأفكار والمضامين، ممّا يعكر صفو الجو الروحاني العميق الذي يطغى على قصائدهم. والاهتمام بالصور والشكل فالشعراء الصوفيون يعتنون بالصور التي يستخدمونها في القصائد ويختاروها بعناية فائقة، لتُعبّر عن مكنونات عواطفهم، إلّا أنّ هذه الصور والتشبيهات فهمها عصيٌّ بعض الشيء على الغرباء عن التصوف ومسالكه(١٠). وقد استقى الشعر الصوفي موضوعاته وأساليبه من اهم مصادره وهي، الشعر الديني ويعد أوّل منابع الشعر الصوفي، فظهر في هذا الشعر الدعوة إلى ترك الدنيا، وذم الإقبال عليها، وتناولت بعض المسائل التي كانت نواة حركة التصوف القوية. والرمز فالألفاظ الصوفية رمزية، تدور حول معانٍ روحية ووجدانية، وقد أخذ هذا الأسلوب الرمزي من أساليب آيات القرآن الكريم فقد ورد في بعض آياته حديث عن اللذائذ الحسية والمادية. والغزل فالصوفيون نزّهوا الحب على أن يكون بشريًا، بل حصروه في أن يكون إلهيًا فقط، فسموا بالحب إلى مراتب روحية تجعل الحب في منتهى النقاء(١١). فليس كل شاعر يعبر عن حب الله هو من المتصوفة ، ولكن الانسان الذي يصل الى اعلى مراحل الحب الإلهي وذكر صفاته وجلد الذات في حب الله ويعبر بأبيات شعرية يصبح من شعراء المتصوفة.

وقد وظف الشعراء الحداثيون مفهوم التصوف في أشعارهم، فهو من الظواهر التي شاعت في الشعر العربي المعاصر لجوء شعراء العرب إلى التراث الصوفي؛ لكونه تجربة نابعة من فلسفة الوجود، بمعنى أنَّها تجربة مختلفة عن التجارب الأخرى، فالشعر عند المتصوفة زاخر بالألفاظ والتراكيب الرامزة التي تتسم بالغموض والإيهام الذي يُجبر القارئ ممّن لم يعش حياة التصوف على البحث عن معاني هذه الألفاظ وكشف السياقات الفنية البديعة التي وردت فيها، لذلك نجد أنّ القصائد الصوفية التي نظمت على يد كبار المتصوفة لها عدة شروحات، وقد ارتبطت التجربة الصوفية بالشعر المعاصر

ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

ارتباطًا كبيرًا لدى كثير من الشعراء المعاصرين بالحديث عن مُجريات ومكنونات تجاربهم في جوانبها المختلفة، وهذه الصلة بين الشعر العربي المعاصر والتجربة الصوفية واضحة لا تحتاج من يشير إليها، ومن أبرز هذه المظاهر الصوفية في الشعر العربي المعاصر عزوف النظرة التقليدية للحزن إلى نظرة عميقة هادئة (١٢) والشعر الصوفي يثبت أن علاقة الشعر بالتصوف وثيقة، وأن القصيدة الذاتية الوجودية هي من ضلع التجربة الصوفية السلوكية، وكما يحتاج الصوفي إلى الشعر ليصف معراجه وذوقه ويعبر عن أحواله ومقاماته ومجاهداته ورؤاه، يحتاج الشاعر إلى التصوف ليرقى برؤيته الشعرية. وليتحرر من اللغة الآلية، ومن سجن المعاني المحسوسة، وليسمو بتجربته ويرتفع بها إلى عالم الغيب، كي يحقق في شعره سعة التخليق، وقدرة التخيل (١٣).

وعلى هذا فان للشعر الصوفي اهمية كبيرة في الشعر بشكل عام حاولنا جاهدين ان نسلط الضوء على اهم ما يميزه عن غيره من الشعر، وتطرقنا الى اهم خصائصه، وسماته، وعلى هذا سيختص المبحث الثاني بالشاعر المقصود وشعره الصوفي ، وقد توصلت الباحثة في المبحث الاول ان هناك عدد كبير من الشعراء المتصوفة الذين صبوا جهدهم في وصف الخالق ، وكان نتاجهم شعر رصين ذا معاني قوية ومتينة عبروا بشعر جميل وممتع من ضمنهم كمال الدين الاديب.

ثانياً : التصوف عند اديب كمال الدين

الاديب هو أديب كمال الدين شاعر ومترجم وصحفي. ولد عام ١٩٥٣ في محافظة بابل. تخرّج من كلية الإدارة والاقتصاد– جامعة بغداد ١٩٧٦. كما حصل على بكالوريوس أدب انكليزي من كلية اللغات– جامعة بغداد ١٩٩٩، وعلى دبلوم الترجمة الفوريّة من المعهد التقني لولاية جنوب أستراليا عام ٢٠٠٥. وأصدر ٢٤ مجموعة شعريّة بالعربيّة والإنكليزيّة، كما أصدر المجلّدات الستة من أعماله الشعرية الكاملة. وقد تُرجمتْ أعماله إلى العديد من اللغات كالإيطالية والإنكليزية والفارسية والأوردية والإسبانية والفرنسية والكردية. نال جائزة الإبداع عام ١٩٩٩ في العراق. واخْتِيرَتْ قصائده ضمن أفضل القصائد الأستراليّة المكتوبة بالإنكليزيّة عاميّ ٢٠٠٧ و ٢٠١٢ على التوالي. صدر ١١ كتابا نقديّا عن تجربته الشعريّة، مع عدد كبير من الدراسات النقدية والمقالات، كما نُوقشت كثير من رسائل الماجستير والدكتوراه التي تناولت أعماله الشعريّة وأسلوبيته الحروفيّة الصوفيّة في العراق والجزائر والمغرب وإيران وتونس (١٤) وبعد الاطلاع على شعره وجدنا لديه قصائد يتقرب بها من الله وبالأخص في المجلد الرابع في مواقف الالف، ويبدو لنا الشاعر وهو يكتب المواقف معلِّقاً، تلامسُ أناملُه حافاتِ السماء، وتعلو أصابعُ قدميْه فويق الأرض، فقد وضف الشاعر المعنى وراء الحرف سعياً إلى ابتغاء مقام للسكينة الروحية، وعلى هذا سيصب هذا البحث في الشعر الصوفي واهم ما يمزهُ لدى اديب كمال الدين لنرى ما هو شعر التصوف وبم تفرد الشاعر.

ينتمي الشاعر إلى جيل السبعينيات من القرن الماضي وقد أصدر مجموعته الشعريّة الأولى بعنوان "تفاصيل" عن مطبعة الغري الحديثة في النجف الاشرف عام ١٩٧٦ ثم توالت مجموعاته الشعريّة الأخرى، وان مشروعهُ الشعري لم يتوقف بل ظل مستمراً على العكس من بعض الشعراء من جيل السبعينيات تحديدا أو الذين جاءوا بعدهم من جيل الثمانينات قد توقّف نموهم عند حدٍّ معين لأسباب عديدة (١٥) وكما بينت الدكتورة بشرى البستاني في مقالها، (المبدع أديب كمال

ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

الدين والشعريّة المبهِرة)، في جريدة بلادي يوم، ٤ شباط ، عام ٢٠١٤. ان شعر التصوف للشاعر قد يتحول في تشكيلاته الصوفية الى ((حرير موصلي أصيل، حرير تاريخي حداثي يظلّ يشفُّ حتى يتلاشى المنظور ليتفتح المدلول ويفوح، فهو نصّ يمتلك القدرة على بلورة رؤى الشاعر لذاته وكينونته وللذات العلية والكون والوجود من حوله، مبدعاً في التصوير بالإشارة المستندة إلى الترميز والتجريد معاً، ولارتكاز التجربة الشعريّة على موهبة ومعرفية عميقة، عرفانية جمالية وفلسفية فإن التشكيل سيظلّ ينهل من منابع ثرّة ذات مستويات متعددة مما يجعلها بحاجة لقراءة تأويلية ذات مستويات وآفاق مفتوحة هي الأخرى، فبدون المعرفة المعمّقة وامتلاك أدوات الكشف الذوقي والجمالي لا يمكن للمتلقّي أن يمتلك مفاتيح النصّ ولا العثور على مزاياه الخاصة. إنّ صوفيّة أديب كمال الدين المبدعة شعرياً هي صوفيّة التحضّر بأخلاق ملوكية حسب أبي حيان التوحيدي، وهي دعوة لرقي التهذيب والسمو بالإنسان نحو المقامات الراقية مادام موجوداً للاختبار)) (١٦) وان لشعر كمال الدين الصوفي جمال في الاسلوب، وسلاسة في الافكار إذ ذكر الباحث حميد الحريزي في بحثه (أسئلة الوجود ومعاني الخلود)، في مواقع الفكر والمثقف والناقد العراقي والنور ٢٠ تموز، عام ٢٠١٤. ان ((مَن يطّلع على السيرة الذاتية للشاعر الكبير أديب كمال الدين سوف يرى العدد الكبير من الأساتذة من ذوي الفطنة والباع في النقد الأدبي وعلم الدلالة وما بين السطور والقدرة على استخلاص المعنى من رياض مجاميعه الشعريّة، ويقف حائراً متهيباً حدّ اللاجدوى من إبحار زورقه ليمخر عباب بحره الشعري الهائج بالسؤال، الغني بجواهر الحكمة، المتوّج بالجمال، المزدان ببلاغة القول، ورصانة المفردة)) (١٧)، فقد فاضت لغة الشعرية فيضاً صوفياً نورانياً التحم بالحياة والموت والعالم الآخر ،اذا كان الشعر في أبسط تعاريفه لديه هو التعبير عن مشاعره فقد جمع بين جمالية الصورة وعمق الفكرة. وبعد الاطلاع على قصائده تبين ان المجلد الرابع من اكثر المجلدات الذي احتوى على ابيات صوفية للشاعر ولعل من اهمها ما ذكر بمواقف الاف:

ثُمَّ انتبهَ إلى دمعتي وقال:
ستصعدُ يا عبدي درجاً،
كلّ درجةٍ بألف،
وكلّ ألفٍ بمائة،
وكلّ مائةٍ بكفّ،
وستحتار أيّها أقرب.
ولكنّ الوقت ليسَ وقت تأمّل،
فاقرأْ واصعدْ.
وفي كلِّ صعود
قل اللهمَّ مالكَ المُلْكِ تُؤتي المُلْكَ مَن تَشاء
وتنزِعُ المُلْكَ ممَّن تَشاء.
ثُمَّ قلْ:
اللهمَّ أنقذْني من قسوةِ الصحراء

www.misan-jas.com
ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

وقرّبْني من فجرِها.
وأنقذْني من غدرِ البحر
وقرّبْني من زرقته.
وأنقذْني من الفتنة
وعلّمْني سرَّها
حتّى ألبسه خاتماً.
وأنقذْني من الشِّراع
واجعلْه أبيضَ كقلبي.
وأنقذْني من السَّواد
واجعلْ لي هيبته وخطاه.
وأنقذْني من الثرثرة
فلا أنطقُ إلّا رمزاً.
وأنقذْني من الهمسِ وأعطني شفتَه.
وأنقذْني من صعودِ القلبِ إلى الحنجرة.
ومن صعودِ الكفّ
حتّى كأنّها تلمسُ الغيم
وهي تستغيث
ولا مغيث لها سواي،
ومن صيحةِ الضَّعْف
حتّى أن لا سامع لها إلّا أنا،
أنا الذي أقرب إليكَ من حبلِ الوريد.
وقل اللهمَّ إنّي عَاشقٌ وَمُحبّ،
مُحبٌّ ومفتون،
مفتونٌ تتقاذفه الدروبُ والبلدانُ والسِّنين.
خلقتَني فكنتُ لكَ باب سؤال،
وبيت كلمة،
وشبّاك سرّ.
فاجعلْني من العابرين إلى شمسِك،
شمسكَ التي تبدأُ بالياء وتنتهي بالسِّين.
إذْ ما كنتُ يا مَن يقولُ للشيء كنْ فيكون
ما كنتُ إلّا حرفاً،

www.misan-jas.com
ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

ما كنتُ إلّا ألِفاً

مَصيري إلى التُراب

إذ خلقتني من طين(١٨).

عندما يسمع المتلقي هذه الابيات يشعر وكانه يدعو الله سبحانه وتعالى ففي هذه الكلمات تقرب من قبل الشاعر الصوفي الى رب العالمين، فنجده هنا زاهد كل شيء ويناجي خالقه، وعلى هذا فان التصوف هو مناجاه المخلوق للخالق، والتقرب منه، وذكر افضال الخالق على عبده، وفي مواقف الالف تظهر الصوفية واضحة جداً لأي شخص يقرأ كلماتها، وضف الشاعر مبدا التصوف في هذه الكلمات بشكل مميز، واسلوب سلس ، وقد استعمل الشاعر كمال الدين الاديب في ابياته الشعرية العديد من الآيات القرآنية والاحاديث النبوية ، والمناجاة المتوارثة عن الانبياء والاولياء ، وهذا يدل على شدة اطلاعه وتميزه ، فضلاً عن التعلق وحب الخالق وجلد الذات ودفع الملذات ، فالمجلد الرابع للشاعر عنما تقرأ بعض من قصائده تشعر وكأنك تقرأ احد الكتب الدينة وتشعر بمتعه في تتبع الافكار للشاعر وهو يناجي ربهُ ، ان مذهب التصوف واضح ايضاً في قصيدة اخرى للشاعر في مواقف الالف إذ يقول:

فالليلُ طويلٌ والراقصون كُثر،

وهم أهلُ الدُّنيا وأنتَ مِن أهلي.

فكيفَ سيكون بَصَرُك؟

وكيفَ ستكون بَصيرتُك؟

وكيفَ ستختار نجمَك،

وأنتَ لستَ ممَّن يقرأ الشَّمس

أو طالعَ الشَّمس

ولا بالذي يقتفي أثرَ القافلة

بحثاً عن الذهب،

ولا بالذي يقودُ الشِّراعَ في البحر

بحثاً عن الجزيرةِ المفقودة؟

فكيفَ ستختار نجمَك؟

أعرفُ أنّكَ ستقول: "الغريب".

لكنّ هذا لا يُجيب.

وستقول: "المَنفيّ" أو "المَحروم" أو "الضائع"

أو "المُمتَحن" أو "المُشتاق" أو "السَّجّاد"

أو "المَنسيّ" أو "المُتضرّع" أو "المُنوّن"

أو "المُتصوّف" أو "الزاهد" أو "العارف".

وكلّ هذا لا يحيط.

هو يشيرُ إلى الجزءِ، وأنتَ في الجزءِ أجزاء.

www.misan-jas.com
ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

وهو يشيرُ إلى المعنى،
وأنتَ في المعنى قلب.
وهو يشيرُ إلى القلب،
وأنتَ في القلبِ طفل.
وهو يشيرُ إلى الطفل،
وأنتَ في الطفلِ حلم.
وهو يشيرُ إلى الحلم،
وأنتَ في الحلمِ نهر.
فَتَبصّرْ،
كيفَ سأسقيكَ من أنهارٍ من عَسلٍ مُصفّى،
أنهارٍ لذّة للشاربين
لا فيها لغوٌ ولا تأثيم؟
وكيفَ ستجلس في مقعَدِ صدْقٍ عندَ مليكٍ مُقتدر؟ (١٩).

في هذه القصيدة يرسم الشاعر حال الدنيا وحال البشر ويبين ان الناس تنشغل في اللهو والدنيا وتفرح وهو بحبه للخالق والتقرب منه يجد اللذة والفرح فقد غلب على اكثر قصائده التفكير باليوم الاخر ووصف اللذة من حب الخالق ، فالدعاء والمناجاة واضحة في القصيدة لدى الشاعر والحوارية بين الخالق والمخلوق مبدأ يتبعه الشاعر في قصائده الصوفية إذ يقول في موقف الاسم:

أوقَفَني في موقفِ الاسم
وقالَ: ما اسمكَ يا عبدي؟
قلتُ: النُّقطة.
قالَ: بل الحرف والنُّقطة جزءٌ منه.
ثُمَّ قال: ما اسمك؟
قلتُ: الحرف.
قالَ: بل الحُروفيّ والحرف جزءٌ منه.
ثُمَّ قالَ: ما اسمك؟
قلتُ: الحُروفيّ.
قالَ: بل الصُّوفيّ والحُروفيّ جزءٌ منه.
ثُمَّ قالَ: ما اسمك؟
قلتُ: الصُّوفيّ.
قالَ: بل العارف والصُّوفيّ جزءٌ منه.
قلتُ: أنا العارف،

www.misan-jas.com
ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

فَلَكَ الحمد ملء السَّماوات والأرض.
وبكيتُ على السّجّادةِ الخضراء
حتّى اخضلّتْ روحي.
قال: ما لكَ تبكي كلّما خاطبتُك
حتّى تخضّل روحُك؟
قلتُ: أغثْني ثُمَّ أغثْني.
قال: إنَّ لكَ عندي وِرْداً مِن نور:
سبحانَ الله
والحَمدُ لله
ولا إلهَ إلّا الله
واللهُ أكبر.
فإن صادفَكَ ذئبٌ بشريٌّ أو ذئبٌ كَلْبيّ
فاقرأْه بوجهِه
فسيهرب منك
يجرّ هزيمتَه جَرّاً.
خُذْ هذا السِّرَّ مِنّي
جوهرةً تتلألأُ مِن عَرشي
حتّى تصلَ إلى مثواكَ بأقصى الأرض (٢٠).

ومن هذا الحب والتركيز في التفكير على محبة الله يخلق الشاعر حوار مع ذاته قد دار بينه وبين الخالق ، فهو يتخل حوار دار بينه وبين رب العالمين فيسال ويجيب، ويدعو ويناجي، ويتأمل وينتصر بقربه من ربهُ، فهذه القصيدة بدأت بسؤال ما اسمك يا عبدي؟ ولا يقصد الشاعر هنا بالاسم الذي ننادي به، وانما يقصد به ما انت وما هي رويتك، او بصورة ادق ماهي رسالتك في هذه الدنيا، ويتضح هذا من خلال الحوار الذي اكتمل في القصيدة، فضلاً عن هذا ان الشاعر كمال الدين الاديب يستعمل في قصائده اسلوب سهل، ولغة مفهومة للقارئ. ولا يكتفي الشاعر بهذه القصائد بل نجده ايضاً في الاشارات ونذكر منها:

إشارة الحفلة
إلهي
إذ دخلتُ إلى حفلتي
لم أجدْ رغيفاً ولا شموعاً،
لم أجدْ ماءً ولا مائدةً ولا ضيوفاً.
فكانَ عليَّ أن أهيّئ الرغيفَ والشموع

www.misan-jas.com
ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

والماءَ والمائدة
والضيوف
بحرفٍ مُحمّديّ
وقلبٍ عيسويّ
وسؤالِ إبراهيميّ
وصبرٍ أيوبيّ
ودمعٍ يعقوبيّ
وامتحانٍ يوسفيّ.
وكانَ عليَّ أن أحتفلَ مِن ثَمَّ
معَ ما هيّأتُ وحيداً
وأحمل تابوتي مِن ثَمَّ وحيداً (٢١).

هنا الشاعر يخاطب خالقه ويوضح انه يختلف عن باقي الناس اللذين ينشغلون بملذات الدنيا فهو يختلف حقاً إذ همه الاكبر هو مناجاة الرب، وزهد هذه الدنيا، فهو يتمسك بقصص الانبياء والاولياء ومن سبقه من الصالحين، ويبتعد عن ملذات الدنيا ويعد زهد الشاعر من اهم السمات التي ارتكز عليها مبدأ الصوفية، والشاعر يقر بوحدانية الرب، والنهاية المحتومة للبشر وهي الفناء وملاقة الرب للحساب. ونجده ايضاً في موقف نُوح يقول:

أوقَفَني في موقفِ نُوح
وقال: يا عبدي
أرأيتَ إلى صَبرِ نُوح،
وعذابِ نُوح،
ومحنةِ نُوح،
وسفينةِ نُوح؟
أرأيتَ وقد قامَ بالقومِ ألفَ سنة
إلّا خمسين عاماً
وهو يذكّرهم بآياتي
فما يزدادُ القومُ إلّا كُفْراً وطغيانا.
ثُمَّ قال: ربّي إنّي مَظلومٌ فانتصرْ.
فأوحيتُ إليه أن أصنع الفُلْك
واحمل في سفينتِكَ مِن كلِّ زَوْجَين اثنين
ومَن آمنَ وما آمَن مَعهُ إلّا قَليل.

www.misan-jas.com
ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

فاذا أزفت الآزفةُ وفارَ التنّور
فستجري سفينتُكَ في مَوجٍ كالجِبال.
ثُمَّ قلتُ: يا سَمَاءُ أقْلِعِي
فغِيضَ الماء
واستوتْ على الجُودِيّ
وقيلَ بُعْداً للقومِ الظالِمين.
ثُمَّ إنّ نوحاً قال: "ابني!"
وقد عَقّ ابنُهُ ربَّه وأباه.
فقلتُ: إنّهُ عَمَلٌ غيرُ صَالِح
فكانَ من المُغْرَقين (٢٢).

يجسد الشاعر كمال الدين الاديب في هذه القصيدة قصة النبي نوح (عليه السلام)، ولكنه ايضاً يصيغها بطريقة الحوار بين الخالق والمخلوق، فيسال ويجيب من ما ذكر وما عرفناه من كتاب الله القران الكريم في قصة نبي الله، فالصوفية عند الشاعر هنا تتجسد بطريقة ذكر قصص الانبياء التي تكون بمثابة خطى وتجارب، مواعظ وحكم، افعال محكمة، نستفيد منها في هذه الحياة وهذا يدل على التدين عند الشاعر ، وقد استعمل الاقتباس للآيات والاحاديث والفكر من بعض المواقف ، وان التناص في شعره متواجد بكثرة وقد درست عدة دراسات التناص والاقتباس في شعر كمال الدين الاديب وبالأخص التناص القرآني ، اما في موقف المُصطفى فالشاعر يقول:

أوقَفَني في موقفِ المُصطفى
وقال: أرأيتَ إلى مَن رأى
مِن آياتِ ربّهِ الكبرى؟
أرأيت إلى مَن أرسلتُه رحمةً للعالمين،
وختمتُ به الأنبياءَ كلّهم والمُرسَلين،
وجعلتُ له الأرضَ طهوراً ومَسْجِداً،
وجمعتُ على مائدته
قدحَ الصبرِ إلى قدحِ النصر،
وماعونَ المحبّةِ إلى ماعونِ العِلْم،
وشرابَ الشفاعةِ إلى شرابِ الكوثر؟
أرأيت كيفَ أسريتُ به
إلى حضرتي الكبرى
مِن سماءٍ إلى أُخرى،
فرأى مِن النُّورِ ما رأى،
فكانَ قابَ قوسين أو أدنى؟

ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

ثُمَّ قلتُ له: صفْني يا مُحمّد،
صفْني يا حبيبي،
صفْني أيّهذا المُصطفى.
قالَ: سبحانَ الله.
قلتُ: نعم.
قالَ: والحمدُ لله.
قلتُ: نعم.
قالَ: ولا إلهَ إلّا الله.
قلتُ: نعم.
قالَ: واللهُ أكبر.
فجعلتُ الشَّمسَ تجري في وجهه
وفي صلواته الخمس.
وجعلتُ اسمَه مقروناً بِاسمي،
وشهادتَه بشهادتي،
ومحبّتَه بمحبّتي (٢٣).

خير قدوة يقتدي بها البشر هو نبينا محمد صلى الله عليه واله وسلم، والشاعر هنا وكما تحدث عن قصة النبي نوح (عليه السلام) استوقف ليذكر جزء قليل من خصال خاتم الانبياء الرسول الاعظم صلوات الله عليه، ففي هذا الحوار الذي رتبه الشاعر ليذكر نفسه والقارئ ان النبي الاعظم وهو حبيب الله، قربه الرب منه وادناه فجعله خاتم الانبياء واصطفاها على الخلق اجمع وميزه الله بما لم يميز احد من قبله، لخلقه وآدابه، فالحبيب محمد خير قدوة نقتدي بها. من هذه القصيدة يلاحظ القارئ تمسك الشاعر بالله سبحانه وتعالى وبمن يحب فيقتدي بالأنبياء ليصل الى محبة ربه وقربه، فهو يتحدى الوسائل ليصل الى الغاية وهي مبتغاة رضا الخالق عليه . والشاعر يوضح في موقف العِزّة بقوله:

أوقِفَني في موقفِ العِزّة
وقال: أنا العزيز يا عبدي
والعِزّةُ لي وحدي.
فمَنْ نازعني فيها
ألبستُه تاجاً من الذُّلّ
وألقيتُ عليه ثوباً مِن الهوان.
وقال: إنّ أكبرَ اسمٍ لك
هو عبد الله
وأصغرَ اسمٍ لك
هو عبد الله.

www.misan-jas.com
ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

وبين الاسمين

ستقيمُ في العبوديّةِ إلى ما شئتُ

وترزخُ في اللاشيئيّة إلى ما شئتُ.

فلا تتركْ نفسَكَ لتقع في الغيّ

وتنفخ فيها سورةَ العظمةِ وآيةَ الوهم (٢٤).

ان العزة لله وحده والعبد موجود في الدينا ليؤدي رسالته، فهو عبد لله وحده وهذا لاشك فيه ولا نقاش، فيخاطب الشاعر نفسه والقارئ بان لاتخاذك العزة ايها الانسان ولا تتكبر أو يأخذك الغرور بالنفس فالعزة لله وحده. التصوف والزهد والتقرب من الله بدى واضحا في قصائد كمال الدين الاديب للمتلقي، قد استعمل الشاعر اسلوب سهل وواضح ومفهوم ولغة جميلة تصل للقارئ بكل سهولة، فضلاً عن استخدامه المفردات المعبرة لتوصيل الفكرة للقارئ واستعمل الحوار والخطاب في قصائده ، فضلاً عن كل هذا ان هناك قصائد اخرى كثر للشاعر، بدى بها التصوف واضح جداً سواء اكانت في هذا المجلد ام في دواوينه الاخرى لامجال لذكرها، فمنها ما اختص بحبه لخالقه ومنها ما اختص بزهد هذه الدنيا ومنها ذكر فيها الشاعر قصص الانبياء والاولياء والصالحين ليتعظ بها الشاعر والمتلقي، وبعض من قصائده كانت عبارة عن ادعية ومناجاة لربه حتى نراه ضمن اسم ادعية كعنوان لقصائده كدعاء كميل مثلاً وهذا ما ذكره في مجلده الرابع، من كل هذا نتوصل الى ان للشاعر قصائد صوفية جميلة كثيرة، امتازت بجمال اسلوبها، وسهولة لغتها، ووضوح عباراتها، ذكرنا ما سمح به البحث.

الهوامش

١. مصطفى ، ابراهيم واخرون ، المعجم الوسيط، منشورات دار الدعوة، ٥٢٩.

٢. المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

٣. الجرجاني (المتوفى : ٨١٦ هـ)كتاب التعريفات ، تحقيق جماعة من العلماء، منشورات دار الكتب العلمية بيروت – لبنان، الطبعة: الأولى ،ج ٥٩/١.

٤. الكلاباذي (المتوفى ٣٨٠ هـ) التعرف لمذهب أهل التصوف، منشورات دار الكتب العلمية –بيروت، ج ١ /٣.

٥. عمر المتوفى (١٤٢٤ هـ)، معجم اللغة العربية المعاصرة ، منشورات عالم الكتب، الطبعة الأولى ، ج٤ /١٣٣٦.

٦. شعرنة التصوف وتصويف الشعر: كيف يمارس الشعراء تجربة التصوف في قصائدهم، مجلة القدس العربي، ٢٠١٨ بحث منشور على شبكة الانترنيت https://www.alquds.co.

٧. صادق (١٩٩٨)، قصيدة النثر، سوزان برنار، مراجعة وتقديم رفعت سلام، الطبعة الأولى ، دار شرقيات للنشر والتوزيع، القاهرة.

٨. عبدالله ، الشعر و التصوّف ، تكامل أم ممانعة ، الحوار المتمدن عدد ٤٩٩٤ بحث منشور على شبكة الانترنيت./www.ahewar.org.

ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

٩. خفاجي ، الأدب في التراث الصوفي ، ص ١٧٩.

١٠. خفاجي ، الأدب في التراث الصوفي ، ص ١٧٧-١٧٩.

١١. منصور ، محمد إبراهيم ، الشعر والتصوف، ص ٢٨.

١٢. قيداد (٢٠١٨)، الرحلة الصوفية في شعر ياسين عبيد ، رسالة ماجستير ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر ، ص ٢٥-٢٧

١٣. بنعمارة (٢٠٠٠)، الصوفية في الشعر المغربي المعاصر المفاهيم والتجليات ، الطبعة الأولى ، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء، ص٣٧.

١٤. السيرة الذاتية للشاعر وقد كتبت في اغلب دواوينه، وايضاً على موقعه الخاص على شبكة الانترنيت.

١٥. احمد (٢٠١٧)، أديب كمال الدين: الشاعر المتعبّد في صومعة الحرف ومحراب النقطة ، جريدة الصباح الجديد ١٥ تشرين أول ، العراق.

١٦. كمال الدين (٢٠١٨)،الأعمال الشِّعريّة الكاملة، أديب كمال الدين، المجلّد الرابع طبع في لبنان، منشورات ضفاف، الطبعة الاولى ، ص ٣٣٠.

١٧. كمال الدين (٢٠١٨)، الأعمال الشِّعريّة الكاملة ، المجلّد الرابع ، ص٣٣٢.

١٨. كمال الدين (٢٠١٨)، الأعمال الشِّعريّة الكاملة ، المجلّد الرابع، ص٢٠_ ٢٢.

١٩. كمال الدين (٢٠١٨)، الأعمال الشِّعريّة الكاملة ، المجلّد الرابع ، ص ١٩_ ٢٠.

٢٠. كمال الدين (٢٠١٨)، الأعمال الشِّعريّة الكاملة ، المجلّد الرابع ، ص ٣٤_٣٥.

٢١. كمال الدين (٢٠١٨)، الأعمال الشِّعريّة الكاملة ، المجلّد الرابع ، ص ٢٢٣_ ٢٢٤.

٢٢. كمال الدين (٢٠١٨)، الأعمال الشِّعريّة الكاملة ، المجلّد الرابع ، ص٥٠_٥١.

٢٣. كمال الدين (٢٠١٨)، الأعمال الشِّعريّة الكاملة ، المجلّد الرابع ، ص ٦٠-٦١.

٢٤. كمال الدين (٢٠١٨)، الأعمال الشِّعريّة الكاملة ، المجلّد الرابع ، ص ٦٩.

المصادر والمراجع

١. احمد ، عدنان حسين (٢٠١٧)، أديب كمال الدين: الشاعر المتعبّد في صومعة الحرف ومحراب النقطة، جريدة الصباح الجديد ١٥ تشرين أول ، العراق.

٢. بنعمارة ، محمد (٢٠٠٠) الصوفية في الشعر المغربي المعاصر المفاهيم والتجليات ، شركة النشر والتوزيع، المدارس، الدار البيضاء – المغرب.

ISSN (Paper)-1994-697X (Online)-2706-722X

٣. الجرجاني ، علي بن محمد بن علي الزين الشريف (١٩٨٣)، كتاب التعريفات، تحقيق جماعة من العلماء، منشورات دار الكتب العلمية ، الطبعة الاولى ، بيروت – لبنان.

٤. خفاجي ، محمد عبد المنعم (١٩٩٥) ، الأدب في التراث الصوفي، مكتبة غريب ، القاهرة – مصر.

٥. شعرنة التصوف وتصويف الشعر: كيف يمارس الشعراء تجربة التصوف في قصائدهم، مجلة القدس العربي، ٢٠١٨ بحث منشور على شبكة الانترنيت، https://www.alquds.co.

٦. صادق ، رواية (١٩٩٨)، قصيدة النثر لسوزان برنار، مراجعة وتقديم رفعت سلام ، دار شرقيات للنشر والتوزيع ، الطبعة الاولى ، القاهرة.

٧. عبدالله ، عادل (٢٠١٤)، الشعر و التصوّف ، تكامل أم ممانعة ، الحوار المتمدن عدد ٤٩٩٤ بحث منشور على شبكة الانترنيت. www.ahewar.org

٨. عمر ، احمد مختار عبد الحميد (٢٠٠٨)، معجم اللغة العربية المعاصرة ، منشورات عالم الكتب، الطبعة الأولى ، القاهرة.

٩. قيداد ، زينب (٢٠١٨)، الرحلة الصوفية في شعر ياسين عبيد ، رسالة ماجستير ، جامعة محمد خيضر ، بسكرة ، الجزائر.

١٠. الكلاباذي ، ابو بر محمد بن ابي اسحاق بن ابراهيم بن يعقوب (بلا سنة)، التعرف لمذهب أهل التصوف، منشورات دار الكتب العلمية – بيروت.

١١. كمال الدين ، أديب (٢٠١٨)، الأعمال الشِّعريّة الكاملة ، المجلّد الرابع ، منشورات ضفاف، الطبعة الاولى ، لبنان.

١٢. مصطفى ، ابراهيم واخرون (٢٠٠٤)، المعجم الوسيط ، الطبعة الرابعة، منشورات دار الدعوة ، القاهرة.

١٣. منصور ، ابراهيم محمد (١٩٩٦) الشعر والتصوف، دار الامن للنشر والتوزيع ، جامعة طنطا – مصر.